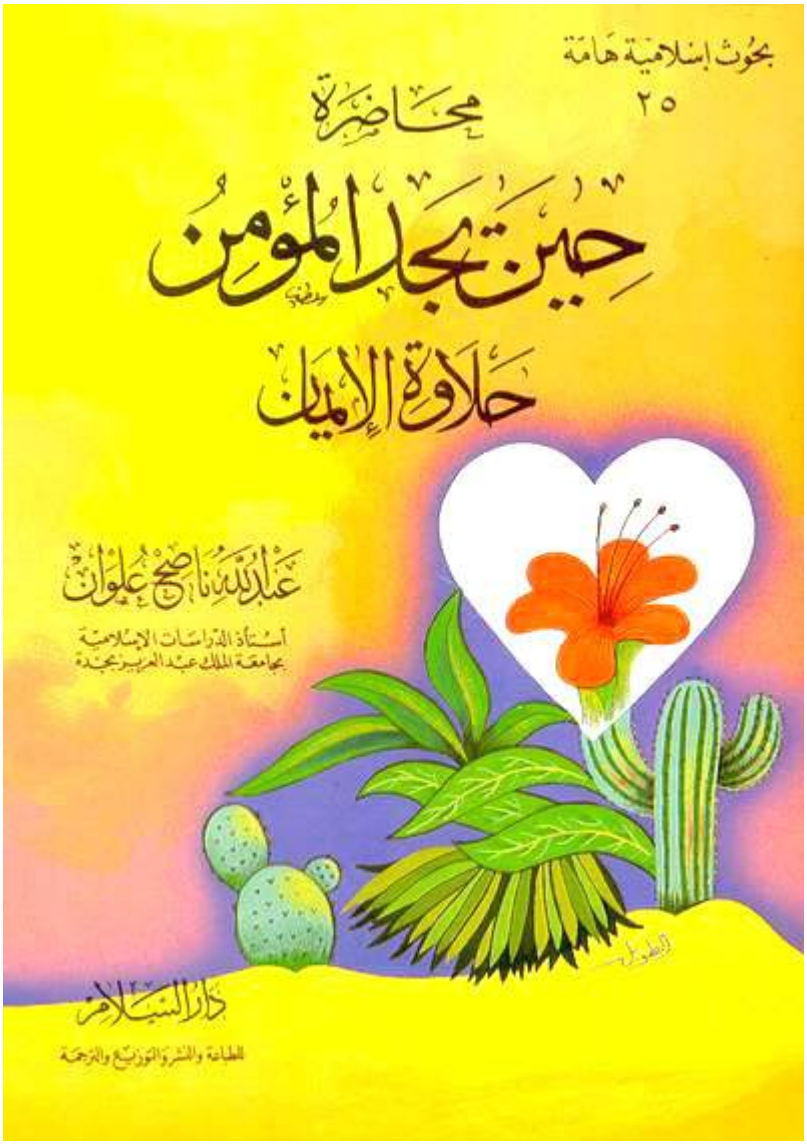
بحوث إسلامية هامة
٢٥
محاضرة
حين يجد المؤمن
حلاوة الإيمان
عبد الله ناصح علوان
أستاذ الدراسات الإسلامية
جامعة الملك عبد العزيز بجدة
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

فهرس

الموضوع	الصفحة
ماذا أعني بالإيمان	٤
كيف يستشعر المؤمن حلاوة الإيمان ؟	٧
١- مرحلة المحبة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم	٨
▪ نماذج من الحب والتفاني	
▪ ماذا عن الطاعة والإتباع ؟	
٢- مرحلة الأخوة الخالصة :	١٦
▪ أظهر الوسائل في تعميق روح الأخوة	
▪ نماذج في تفاعل الأخوة الخالصة	
▪ نماذج في تفاعل الأخوة العامة	
٣- مرحلة كراهية الكفر	٢٤
▪ من مظاهر الردة في عصرنا	
▪ ردّة الإلحاد وخطرها	
▪ مواقف من الصبر على البلاء	
▪ نماذج في حب الجهاد والاستشهاد	
وبعد فيا شباب الإسلام	٤٤

الإصدار الأول

www.abdullahelwan.net

حين يجد المؤمن حلاوة الإيمان

" ثلاث من كُنَّ فيه وَجَدَ حلاوة الإيمان : أن يكون اللّهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سِواهما ، وأن يُحِبَّ المرأ لا يُحبهُ إلا للّه ، وأن يَكْرَه أن يعود في الكُفرِ كما يكرَهُ أن يُقذَفَ في النّار "

[رواه البخاري]

أيها الإخوة الأكارم : أحمد إليكم اللّه الذي لا إله إلا هو ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد : فحديثي إليكم هذه الليلة [1] :

حين يذوق المسلم حلاوة الإيمان

من المعلوم يقينًا – أيها الأحباء – أن الإيمان باللّه الواحد الأحد حين يتغلغل في النفوس ، ويستقر في القلوب . . هو أول سلاح يتسلَّح به المؤمن في مواجهة صراع الحياة ، وفي مجابهة مغريات الدنيا . . سواء أكان المسلم مدافعًا أو كان مهاجمًا ؟ وسواء أكان منتصرًا أو كان ممتحنًا ؟ وسواء أكان حاكمًا أو كان محكومًا ؟ ! وسواء أكان فقيرًا أو كان غنيًّا . . ؟ ! ! فبدون الإيمان يبطل كل سلاح ، ويبطل كل إعداد ، وتبطل كل ذخيرة .

---

[1] ألقيت هذه المحاضرة مساء يوم الإثنين الموافق ٧ رمضان المبارك في المركز الإسلامي الصيفي في مدينة الدمام سنة ١٤٠٢ هـ ، وقد رأيت أن أطبعها لتحصل المنفعة ، وتعمّ الفائدة ، وقد قدّمتها للطبع بعد أن نقّحتُها وزدتُ ما فيها ، فأرجو من اللّه العلي القدير أن يجعل فيها النفع العام لجيل الإسلام اليوم ، كما أرجوه أيضًا أن يجعلها في صحائف أعمالي المقبولة يوم العرض عليه إنه بالإجابة جدير .

وأعني بالإيمان – أيها الحفل الكريم – أن يعتقد المؤمن من قرارة وجدانه أن الآجال بيد اللّه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه اللّه له ، وإن اجتمعت على أن يضرّوه بشيء لم يضرّوه إلا بشيء قد كتبه اللّه عليه . وعلى المؤمن أن يضع نصب عينيه قول الحق سبحانه :

– ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللّه لنا هو مولانا وعلى اللّه فليتوكل المؤمنون** ﴾ [التوبة : ٥١] .

وأن يردّد صباح مساء قوله جلّ جلاله : ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

فبهذا الاعتقاد وبهذا الشعور يتحرر المؤمن من الخوف والجبن والجزع . . ويتحلّى بالصبر والشجاعة والإقدام . . ويهتف من أعماق قلبه بما هتف به الإمام علي كرم اللّه وجهه حين كان يجابه الأعداء :

أيّ يوميّ من الموت أفرّ يوم لا يقدر أم يوم قُدر
يوم لا يقدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحَذِر

ويتمثل بما تمثل به قطري بن الفجاءة حين كان يخاطب نفسه في حومة الوغى ويقول :

أقول لها وقد طارت شعاعًا من الأبطال ويحك لن تُراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لن تُطاعي
فصبرًا في مجال الموت صبرًا فما نيل الخلود بمستطاع

وأعني بالإيمان أيضًا – أيها الإخوة المؤمنون – أن يعتقد المؤمن من سويداء قلبه أن الأرزاق بيد اللّه ، وأن ما بسطه اللّه على العبد لم يكن لأحد أن يمنعه ، وأن ما أمسكه عليه لم يكن لأحد أن يعطيه ، وأن ما قدّر لماضغيْه أن يمضغا لابد أن يمضغا ، وأن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وأجلها . .

وعلى المؤمن أن يضع نصب عينيه قول الحق سبحانه : ﴿ **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرًا بصيرًا** ﴾[الإسراء : ٣٠] .

وأن يردّد صباح مساء قوله جلّ جلاله : ﴿ **أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتوّ ونفور** ﴾[الملك : ٢١] .

فبهذا الاعتقاد وبهذا الشعور . . يتحرر المؤمن من الحرص الزائد على الدنيا ، والإلحاح بالطلب . . ويتحرر أيضاً من الشحّ النفسي ، والتقتير المزري ، والإمساك الشائن . . ويتحلّى بمعاني الكرم والإيثار والعطاء . . بل يرى السعادة في القناعة وعيش الكفاف ، فإذا اقتنعت النفوس رضيت بالقليل ، وكفاها اليسير . .

ورحم الله الإمام الشافعي حين قال :

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنىً يطغيها

وغنى النفوس هو الكفاف ، فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

* **وأعني بالإيمان** كذلك – أيها الإخوة – أن يعتقد المؤمن من أعماق أحاسيسه ومشاعره أن الله سبحانه معه يسمعه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . . وعلى المؤمن أن يضع نصب عينيه قول الحق سبحانه : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا . .** ﴾ [المجادلة : ٧] .

وأن يردد صباح مساء قوله جلّ جلاله : ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البرّ والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتابٍ مبين** ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

فبهذا الاعتقاد ، وبهذا الشعور . . يتحرّر المؤمن من ربقة الهوى ، ونزعات النفس الأمّارة ، وهمزات الشياطين ، وفتنة المال والنساء . . ويتحلّى بالمراقبة لله ، والإخلاص له ، والاستعانة به ،

والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ، ويندفع بكليته إلى العمل بكل أمانة وجدّية وإتقان . . بل يكون إذا مشى في الناس إنساناً سويًّا وبرًا تقيًّا ، وريحانة طيبة الشَّذى ، وشامة في المجتمع يشار إليه بالبنان .

بل يتمثل بما تمثل به شاعرنا الإسلامي حين قال :

إذا ما خلوتَ بالدهر يومًا فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليّ رقيب

ولا تحسبنّ اللّه يغفل ساعة ولا أن ما تُخفي عليه يغيب

ولكن كيف يستشعر المؤمن حلاوة الإيمان ؟ .

رسولنا وقائد دعوتنا صلوات اللّه وسلامه عليه أرشدنا – أيها الإخوة المؤمنون – إلى المنهج العلمي في استشعار المؤمن حلاوة الإيمان ، ولذة الإسلام . . ما هو هذا المنهج ؟ :

روى البخاري عن أنس رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال : " **ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون اللّه ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلا لِلّه ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** " .

المنهج – كما دل عليه الحديث – يتحقق في ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : المحبة الخالصة للّه وللرسول .

المرحلة الثانية : الأخوة الصادقة لجماعة المؤمنين .

المرحلة الثالثة : كراهية مبادئ الكفر ونبذ أهل الضلال .

وأريد – أيها الحفل الكريم – أن أتحدث **عن كل مرحلة من مراحل استشعار المؤمن في نفسه حلاوة الإيمان** بشيء من التفصيل ، وعلى اللّه قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق :

١ – أما عن مرحلة المحبة الخالصة للّه وللرسول فأقول :

أيها الإخوة الأكارم : لابد أن يتساءل المسلم لماذا يعطي محبته وولاءه للّه جلّ جلاله ، وللرسول صلوات اللّه وسلامه عليه ؟ .

*** يعطي محبته وولاءه للّه جلّ جلاله لأن اللّه سبحانه يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء :**

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه الخالق الأوحد للكون والحياة والإنسان .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لما أسبغ على الإنسان من نعم ظاهرة وباطنة .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لأن هذا الكون كله مسخر لمصلحة الإنسان .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لما أنزل على البشرية من أنظمة حكم ، ومناهج حياة . .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لإجابته المضطر إذا دعاه وكشفه الضر والسوء عنه .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لافتقار العبد إليه ، واعتماده في كل الأحوال عليه .

قال تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ **اللّه الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم وسخّر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخّر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدّوا نعمة اللّه لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفّار** ﴾ [الآية : ٣٢ : ٣٤] .

وقال سبحانه وتعالى في سورة النمل :

– ﴿ **قل الحمد للّه وسلام على عباده الذين اصطفى** ﴾ .

– ﴿ **آللّه خير أمّا يشركون** ﴾ ؟ .

– ﴿ **أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع اللّه ؟ بل هم قوم يعدلون** ﴾ .

– ﴿ **أمّن جعل الأرض قرارًا ، وجعل خلالها أنهارًا ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزًا ، أإله مع اللّه ؟ بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

- ﴿ أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع اللّه ، قليلًا ما تذكرون ﴾ .

- ﴿ أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ؟ ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته ؟ أإله مع اللّه ، تعالى اللّه عمّا يشركون ﴾ .

- ﴿ أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أإله مع اللّه، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ .[الآية : ٥٩ : ٦٤]

فإذا لم يكن المؤمن على هذا المستوى اللائق من المحبة للّه ، والولاء له ، والافتقار إليه ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والشكران لأنعمه وفضائله . . فيكون كاذبًا في دعوى المحبة ناقضًا عرى الإيمان .

*** ويعطي محبته وولاءه للنبي صلى الله عليه وسلم لكونه يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء .**

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه عليه الصلاة والسلام الشخصية الكاملة المعصومة عن الخطأ ، والمنزهة عن العصيان .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكون طاعته صلى الله عليه وسلم هي طاعة للّه .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكون سنته صلى الله عليه وسلم هي في المرتبة الثانية بعد كتاب اللّه عز وجل .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه الأسوة الحسنة لمن يتطلع إلى المعالي ، ويستشرف الجلال والكمال .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه أدّى الأمانة ، وبلّغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في اللّه حق جهاده . . حتى أقام في الجزيرة العربية دولة الإسلام .

يستأهل هذه المحبة وهذا الولاء لكونه السراج المنير للعوالم ، والرحمة المهداة للبشرية . .

وصدق اللّه العظيم في محكم تنزيله :

- ﴿ **لقد كان لكم في رسول اللّه أُسوَةٌ حسنة لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر وذكر اللّه كثيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

- ﴿ **يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا * وداعيًا إلى اللّه بإذنه وسراجًا منيرًا** ﴾ [الأحزاب : ٤٥ : ٤٦] .

- ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

- ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [القلم : ٤] .

- ﴿ **قل إن كنتم تحبّون اللّه فاتبعوني يحببكم اللّه** ﴾ [آل عمران : ٣١] .

فمن البديهي بعد أن يستشعر المؤمن من أعماق وجدانه هذه المعاني نحو رسول الإسلام صلوات اللّه وسلامه عليه لابد أن يعطيه طاعته التامة ، وانقياده الكامل ، ومحبته الخالصة .

فإذا لم يكن المؤمن على هذا المستوى اللائق من المحبة والطاعة والانقياد . . لنبيّ الإنسانية عليه الصلاة والسلام فيكون كاذبًا في دعوى المحبة ، ناقضًا عرى الإيمان ؛ قال تعالى : ﴿ **فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلّموا تسليمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] .

ويكفيه عليه الصلاة والسلام فخرًا وشرفًا وخلودًا . . أن رفع اللّه في العالمين ذكره ، وجعله للأجيال قدوة ، وفضّله على سائر البشر تفضيلًا . .

ورحم اللّه البوصيري حين قال :

دع ما ادّعته النصارى في نبيّهم ... واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شَرَفٍ ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول اللّه ليس له ... حدٌّ فيُعربَ عنه ناطق بفم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر ... وأنه خير خلق اللّه كلّهم

* * *

وإليكم – أيها الحفل الكريم – نماذج من الحبّ والتفاني رائعة :

لو قلبنا التاريخ بصفحاته ، ونقبنا عن أخبار الرعيل الأول من صحابة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، ومن تبعهم بإحسان . . لرأينا نماذج بشرية رائعة في الحبّ والتفاني . . ولرأينا الجيل الأول كيف كان يستشعر نشوة المحبّة ، ويذوق حلاوة الإيمان ؟:

– فهذه **رابعة العدوية** النقيَّة الصّالحة . . كانت إذا هزّتها نشوة المحبة ، وملكتها لذة المناجاة تمثّلت بهذه الأبيات في وقفة خاشعة بين يدي اللّه سبحانه ، مخاطبة الحق جلّ جلاله :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الودّ فالكل هيّن وكل الذي فوق التراب تُراب

– وهذا العارف الربّاني " الجنيد " كان إذا ذاق في قرارة نفسه حلاوة العبادة ، ولذة الطاعة انتشى سرورًا وقال : " لو تعلم الملوك ما نحن عليه من لذة لجالدونا عليها بالسيوف " .

وكأنه رحمه اللّه يريد أن يقول : إن ملوك الأرض مهما استشعروا نشوة الملك ، وعزة السلطان . . لم يبلغوا النشوة الحقيقية التي بلغها أحبّاء اللّه في مناجاتهم الخالصة، وعبادتهم الخاشعة . .

– وهذا " ثوبان " مولى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم – كما روى البغوي – كان شديد الحبّ لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغيّر لونه ، فقال له عليه الصلاة والسلام : ما غيّر لونك ؟ فقال : يا رسول اللّه ما بي مرض ولا وجع ، غير أني إذا لم أرك استوحشتُ وحشة شديدة حتى ألقاك ؛ ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك ، لأنك ترفع مع النبيين ، وإنى إن دخلتُ الجنة فأنا في منزلة أدنى من منزلتك ، وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدًا ، فنزلت هذه الآية

– ﴿ **ومن يطع اللّه والرسول فأولئك مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا** ﴾ [النساء : ٦٩] .

وروى البيهقي عن عروة قال : لما أخرج المشركون " زيد بن الدثنة " من الحرم ليقتلوه بالتنعيم ، وقد اجتمع في الطريق " خبيب بن عديّ الأنصاري ، وزيد بن الدثنة" ، فتواصيا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره ؛ قال أبو سفيان – وهو يومئذ مشرك – قال لزيد ابن الدثنة : أنشدك باللّه يا زيد : أتحبّ أن محمدًا الآن مكانك تُضرب عنقه ، وأنك في أهلك؟ ! !

فقال زيد : واللّه ما أحبّ أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة ، وأني جالس في أهلي ! !.

فقال أبو سفيان : " **ما رأيت أحدًا من الناس يحبّ أحدًا كحبّ أصحاب محمد محمدًا** " .

قال الحافظ الزرقاني : وفي رواية : أنهم ناشدوا خبيبًا فقال : " واللّه ما أحبّ أن يفديني رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بشوكة في قدمه ! ! " .

فقد آثر زيد ، وخبيب أن يقتلا ، ولا يصاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بأقل شيء من الأذى.

– وروى البيهقي وابن إسحاق أن **نسيبة بنت كعب الأنصارية** قد قتل أبوها وأخوها وزوجها شهداء يوم أحد ، فقالت لما أخبرت بذلك : ما فعل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ؟ " تسأل عن سلامته " ، قالوا : خيرًا هو بحمد اللّه كما تحبين !، فقالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : " كل مصيبة بعدك جلل " أي كل مصيبة بعد سلامتك هينة ! ! . .

وروى ابن عساكر بسند جيد عن بلال بن رباح رضي اللّه عنه أنه لما نزل " بداريّا " – اسم مكان قريب من الشام – رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام بعد وفاته ، وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني ؟ فانتبه بلال حزينًا خائفًا ، فركب راحلته، وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يبكي ويمرّغ وجهه عليه ! !

فأقبل الحسن والحسين رضي اللّه عنهما ، فجعل بلال يضمهما ويقبلهما ، فقالا له: نتمنى أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فعلا سطح المسجد، ووقف

موقفه الذي كان يقف فيه ، فلما قال : " اللّه أكبر ، اللّه أكبر" : ارتجّت المدينة ، فلما قال : " أشهد أن لا إله إلا اللّه " ازدادت رجّتُها ، فلما قال : " أشهد أن محمدًا رسول اللّه " خرجت العواتق – النساء – من خدورهن وقلن: أُبعث رسول اللّه ؟ فما رُؤي يوم أكثر باكيًا ولا باكية بالمدينة بعده صلى الله عليه وسلم أكثر من ذلك اليوم . . لحنين الذكرى وأشواقها ! ! .

* * *

ثم ماذا عن الطاعة والاتباع ؟

فمن الطبيعي – أيها الحفل الكريم – أن من يحب اللّه سبحانه ، ويحب رسوله صلى الله عليه وسلم محبة قلبية خالصة أن يستجيب لندائهما ، ويمتثل أمرهما ، ويقف عند حدودهما . . وإلّا . . فإنه يكون كاذبًا في دعوى المحبة ، ناقضًا عرى الإيمان .

تعصى الإله وأنت تظهر حبّة هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبّك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحبّ مطيع

بل يجد المؤمن من هذه المحبة والطاعة نشوة تظهر على جوارحه ومحياه ، لإخلاص المحبة ، وصدق الطاعة . . بل لا يتصور من المؤمن بعد أن يستشعر من أعماق قلبه حلاوة المحبة ، ونشوة الطاعة . . لا يتصور منه أبدًا أن يحيد ولو قليلًا عن المنهج الذي رسمه له المحبوب ، ولا أن يتزحزح عن الصراط الذي نصبه له من تعلق به وانجذب إليه . . وهكذا الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ! ! . .

وإليكم – أيها الأحباب – بعض النماذج الخالدة في صدق الطاعة والاتباع :

أ – روى البيهقي وأبو نعيم أن أبا بكر رضي اللّه عنه قُدِّم له طعام ، فلما تناول منه لقيمات ذكر له بأن في الطعام شبهة من حرام ، فماذا فعل أبو بكر رضي اللّه عنه ؟ وضع أصبعه في فمه ، وأخرج

تلك اللقيمات ، وقال : واللّه لو لم تخرج إلا مع روحي لأخرجتها لأني سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول "كل لحم نبت من السّحت فالنار أولى به " أي كل جسم غُذِي بالحرام فالنار أولى به .

وأبو بكر هذا هو الذي أنفذ جيش أسامة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال للمعارضين قولته الجريئة الخالدة : " والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذتُ بعث أسامة كما أمر به رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذتُه ، ما كنت أحلّ عَقْدًا عقده رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بيديه " .

وهو الذي قال لعمر رضي اللّه عنه حين أشار إليه أن يجمع القرآن في مصحف واحد : "كيف نفعل أمرًا لم يفعله رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ؟ " .

ب – وهذا عمر رضي اللّه عنه – كما روى ابن كثير – أراد أن يحدّد في خطبةٍ له مهور النساء ، فقامت امرأة من صفوف النساء فطساء سوداء عجوز وقالت : ما ذاك الحكم يا عمر؟ . فقال لها : لِمَ رحمك اللّه ؟

قالت : لأن اللّه سبحانه يقول : ﴿ **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتُم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ [النساء : ٢٠] .

فقال عمر : أصابت المرأة وأخطأ عمر .

وقف رضي اللّه عنه عند النص القرآني ورجع عن خطئه دون أن يجد في هذا الرجوع غضاضة ولا حرجًا .

جـ – وروى الشيخان عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال : " ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيتُه مكتوبة " ؛ قال ابن عمر : " ما مرّت عليَّ ليلة منذ سمعتُ رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي " !!.

د – وروى الشيخان عن ابن عباس بن ربيعة قال : رأيت عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يقبّل الحجر – يعني الحجر الأسود – ويقول : " أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول اللّه يقبّلك ما قبلتك " .

هـ – وروى مسلم أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل ، فنزعه وطرحه وقال : " يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده " ، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك انتفع به ، قال لا واللّه ، وقد طرحه رسول اللّهصلى الله عليه وسلم .

إلى غير ذلك من هذه الأخبار الرائعة والنماذج الخالدة التي تبين صدق الطاعة ، وفضيلة الاتباع ، وحقيقة المحبة . . في الرعيل الأول من صحابة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان . .

فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم ، أو أرأف أو أرحم أو أجلّ أو أعظم أو أرقى أو أعلم . . ؟ ؟ ! !

إنهم في الحقيقة جيل فريد لا كالأجيال ، ورجال متميزون لا كالرجال ، وأمة رائدة لا كالأمم . . إنهم من قدر اللّه ، وممن تربوا في مدرسة محمد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، وممن أخلصوا في الطاعة والاتباع والعمل . .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

* * *

٢ – أما عن مرحلة الأخوة الخالصة لجماعة المؤمنين فأقول :

أيها الإخوة المؤمنون : الأخوّة في الإسلام لا تكون خالصة ، ولا تكون متماسكة ، ولا تكون متعاونة على الخير . . **إلا أن تكون للّه وفي مرضاة اللّه .**

وهذا ما أكده صلوات اللّه وسلامه عليه في أكثر من حديث :

– أكّده في الحديث الذي نحن في صدده : " . . أن يحبّ المرء لا يحبّه إلا للّه . . " .

– وأكده في الحديث الذي رواه الشيخان : " . . ورجلان تحابّا في اللّه اجتمعا عليه وتفرقا عليه " .

– وأكده في قصة الرجل الذي زار أخًا له في اللّه : روى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : " أن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى ، فأرصد اللّه تعالى على مدرجته " أي طريقه " ملكًا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخًا لي في هذه القرية ، قال: هل لك عليه من نعمةٍ تربّها عليه " أي تقوم بها وتسعى في صلاحها " ، قال : لا ، غير أني أحببتُه في اللّه تعالى ؛ قال الملك: فإني رسول اللّه إليك بأن اللّه قد أحبّك كما أحببتَه " .

ولكن – أيها الإخوة المؤمنون – الأخوّة في الإسلام لا تكون خالصة للّه ، وفي مرضاة اللّه إلا أن تكون هذه الأخوة **ملازمة للإيمان ، ومرافقة للتقوى** إذ لا أخوة بدون إيمان ، ولا صداقة بدون تقوى !!. .

أما أنه لا أخوّة بدون إيمان فلقوله تبارك وتعالى : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [الحجرات : ٦٠] .

وأما أنه لا صداقة بدون تقوى فلقوله سبحانه : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين** ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

والنفس الإنسانية القائمة على الإيمان ، والممتزجة بالتقوى . . فبمجرد أن تلتقي مع من يماثلها ويجانسها إيمانًا وتقوى فإنها تشعر بالقرب والمحبة ، وتحسّ بالأنس والصفاء في أول لحظات اللقاء والتعارف . .

وأما النفس المنطوية على الخبث ، والمتأصلة على الفساد فلا يمكنها أن تتوافق مع النفس المؤمنة المطمئنة ، لكونهما متباينتين أصلًا متناكرتين روحًا ، ومتنافرتين منهجًا . . وإلى هذه المعاني كلها أشار النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان : " الناس معادن . . خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف " .

* * *

وللأخوَّة – أيها الحفل الكريم – وسائل إيجابية لتمتين أواصرها ، وتعميق روحها . . هذه الوسائل لو أخذ بها أبناء المجتمع الإسلامي في كل مكان ، وعملوا على مقتضاها لزادت أخوتهم على مدى الأيام توثيقًا وتمتينًا . .

وإليكم – يا شباب الإسلام – أظهر هذه الوسائل في تعميق روح الأخوة :

أ – إذا أحبّ الأخ أخاه فليخبره أنه يحبّه ، وذلك لما روى أبو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا أحبّ الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه " .

ب – إذا فارق الأخ أخاه فليطلب منه الدعاء في ظهر الغيب ، وذلك لما روى أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ، قال : استأذنتُ النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن لي وقال : " لا تنسنا يا أخيّ من دعائك " قال عمر رضي اللّه عنه : فقال كلمةً ما يسرّني أن لي بها الدنيا .

وفي رواية قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " أشركنا يا أخيّ في دعائك " .

ج – **إذا لقي الأخ أخاه فليطلق وجهه عند اللقاء** ، وذلك لما روي مسلم عن أبي ذر رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق" ، وفي رواية : " تبسّمك في وجه أخيك صدقة .

د – **إذا لقي الأخ أخاه فليبادر إلى مصافحته** . ، وذلك لما روى أبو داود عن البراء رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يفترقا" .

هـ – **أن يكثر من زيارة إخوانه بين كل فترة وفترة** ، وذلك لما رُوي عنه صلوات اللّه وسلامه عليه أنه قال : " من دعا مريضًا أو زار أخًا في اللّه ناداه منادٍ أن طبتَ وطاب ممشاك وتبوّأت من الجنة منزلًا " . وفي رواية : " زر غبًّا " أي بين كل فترة وفترة " تزدد حبًّا " .

و – **أن يهنىء أخاه ويدخل السرور عليه عند بزوغ المناسبة** ، وذلك لما روى الطبراني في الصغير عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : "مَنْ لقي أخاه بما يحبّ ليسرّه ذلك ، سرّه اللّه عز وجل يوم القيامة " .

ز – **أن يقدم له الهدية إذا وجدت المناسبة** ، وذلك لما روى الديلمي عن أنس رضي اللّه عنه مرفوعًا " عليكم بالهدايا فإنها تورث المودة ، وتذهب الضغائن " ، وفي رواية الطبراني : "ته ادوا تحابوا " .

ح – **وأخيرًا أن يؤدي له حقوق الأخوة كاملة** ، وذلك لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من نفّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا نفّس اللّه عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر اللّه عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره اللّه في الدنيا والآخرة ، واللّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه " ، وفي روايه لمسلم: " حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد اللّه فشمّته ، وإذا مرض فعُدْه ، وإذا مات فاتّبعه " .

وحينما تكون الأخوة مقرونة بالإخلاص والإيمان والتقوى ، ومنطوية على هذه المعاني الرائعة من الروابط والأواصر . . فإنها تصنع الخوارق والأعاجيب ، بل تكون مضرب الأمثال وحديث الركبان . .

وإليكم نماذج خالدة من سيرة السلف في تفاعل أخوة الإيمان :

* جاء " فتح الموصلي " إلى منزل أحد إخوانه وكان غائبًا ، فأمر أهله فأخرجت صندوق ماله ، ففتحه وأخذ حاجته منه ، فأخبرت الجارية مولاها بعد أن حضر ، فقال الصديق : إن صدقت فأنت حرّة لوجه اللّه ، سرورًا بما فعل أخوه ! !

* قال " علي بن الحسين " رضي اللّه عنه لرجل : هل يُدخل أحدكم يده في كُمّ أخيه " أي جيبه " أو كيسه ، فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه ؟ قال : لا ، قال فلستُم بإخواني ! ! .

* كان على " مسروق " دين ثقيل ، وكان على أخيه " خيثمة " دين أيضًا ، فذهب "مسروق " وقضى دين خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب " خيثمة " فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ! !

* قضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه ، فجاءه بهدية ، فقال ابن شبرمة : ما هذا ؟ قال أخوه : لما أسديته إليّ من المعروف . . قال ابن شبرمة : خذ مالك عافاك اللّه ، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها ، فتوضأ للصلاة ، وكبّر عليه أربع تكبيرات ، وعدّه في الموتى ! ! . .

* رُوِي أن أحد الخلفاء أمر بضرب رقاب ثلاثة من الصالحين ، فيهم " أبو الحسين النوري " ، فتقدم أبو الحسين ليكون أول من تضرب عنقه ، فعجب الخلفية لذلك ، وسأله عن سببه ، فقال أبو الحسين رحمه اللّه : أحببتُ أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللحظات ، فكان ذلك سبب نجاتهم جميعًا .

هذا كله – أيها الإخوان – في مجال الأخوّة الخاصة التي تشمل الإخوان والأصدقاء . . **أما في مجال الإخاء الإسلامي** العام الذي يشمل المسلمين جميعًا فإن التاريخ قصّ لنا سيرة أمة أبدعت وأحسنت في مجال الأخوة الإسلامية العامة أيما إبادع وإحسان . . وما زالت الأجيال المسلمة تتغنى بمآثر هذه الأمة في كل مجالات الحياة ، وفي جميع ميادين التكافل والمواساة والمحبة .

وإليكم – أيها الحفل الكريم – طرفًا من مآثرهم :

ففي مجال التكافل والتعاطف :

– قال محمد بن إسحق : "كان أناس بالمدينة يعيشون ولا يدرون من أين يعيشون؟ ومن يعطيهم ؟ فلما مات زين العابدين بن الحسين رضي اللّه عنهما فقدوا ذلك ، فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا في ظهره أثر حمل الجراب " أي الكيس " إلى بيوت الأرامل والمساكين " .

– وكان الليث بن سعد ذا غلّة على سبعين ألف دينار ، ويتصدّق بها كلها حتى قالوا إنه لم تجب عليه زكاة قط ، واشترى مرة دارًا بيعت بالمزاد ، فذهب وكيله يتسلّمها ، فوجد فيها أيتامًا وأطفالًا صغارًا ، سألوه باللّه أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك الليث أرسل إليهم أن الدار لكم ومعها ما يصلحكم كل يوم .

وفي مجال الإيثار والمواساة :

– روى الحاكم في المستدرك أن معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه بعث بثمانين ألف درهم إلى عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها ، وكانت صائمة وعيلها ثوبٌ خَلق " أي قديم " ، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين . . ولم تُبق منه شيئًا ، فقالت لها خادمتها: يا أم المؤمنين ما استطعت أن تشتري لنا لحمًا بدرهم تفطرين عليه، فقالت : يا بنيّة لو ذكرتني لفعلت .

نسيت نفسها في سبيل إسعاد أبناء مجتمعها المسلم ! !

– ومن عجائب الإيثار ما ذكره العدوي – كما روى القرطبي – حين قال : "انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ، ومعي شيء من الماء ، وأنا أقول : إن كان به رمق سقيتُه ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أي نعم ، فإذا برجل يقول: آه. . آه . . فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أن نعم . فسمع آخر يقول : آه. . آه . . فأشار هشام أن انطلق إليه فإذا هو قد مات ، فرجعتُ إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعتُ إلى ابن عمي فإذا هو قد مات " ، ولم يشرب أحد الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه.

وفي مجال العفو والحلم :

– روى البخاري عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : لما قدم عُيَيْنَة بن حصن نزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس [1] ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي اللّه عنه . . فقال عيينة لأخيه الحرّ : استأذن لي على أمير المؤمنين . فاستأذن له ، فلما دخل قال : هيه يا ابن الخطاب ، فواللّه ما تعطينا الجزل " أي ما نستحقه من العطاء " ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به .

فقال الحرّ بن قيس : يا أمير المؤمنين : إن اللّه يقول :

– ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ ، وإن هذا من الجاهلين ، فواللّه ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافًا عند كتاب اللّه عز وجل ! !

– ومما يروى عن زين العابدين بن الحسين رضي اللّه عنهما أن غلامه كان يصبّ له الماء بإبريق مصنوع من خَزَف (أي من طين) ، فوقع الإبريق على رجل زين العابدين فانكسر ، وجرحت رجله ونزف منها الدم ، فقال الغلام على الفور :

يا سيدي : يقول اللّه تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ** ﴾ ، فقال زين العابدين : لقد كظمتُ غيظي ! !

ويقول : ﴿ **والعافين عن الناس** ﴾ ، فقال زين العابدين : لقد عفوتُ عنك ! !

ويقول : ﴿ **واللّه يحب المحسنين** ﴾ ، فقال زين العابدين : أنت حرّ لوجه اللّه ! ! .

وفي مجال المحبة وردّ اللهفة :

– روى مالك في الموطأ عن إدريس الخولاني رحمه اللّه قال : دخلتُ مسجد دمشق فإذا فتى برّاق الثنايا " أي كثير التبسّم " ، وإذا الناس معه ، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه ، وصدروا عن رأية ، فسألت عنه فقيل : هذا معاذ بن جبل رضي اللّه عنه ، فلما كان من الغد هجّرتْ " أي بكّرتْ إلى المسجد مسرعًا " فوجدتُه قد سبقني بالتهجير ، ووجدتُه يصلي ، فانتظرتُه حتى قضى صلاته ، ثم

---

[1] كان من القراء ، وأصحاب مشورة عمر رضي اللّه عنه .

جئتُه من قبل وجهه ، فسلّمتُ عليه ثم قلت : واللّه إني لأحبّك ، فقال معاذ : آللّه ؟ " يقسم باللّه " ، فقلت : آللّه ، فأخذني بحبوة ردائي فجذبني إليه ، فقال أبشر سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول : " **قال اللّه تعالى : وجبت محبتي للمتحابّين فيّ ، والمتجالسين فيّ ، والمتباذلين فيّ** " .

– وكان للإمام أبي حنيفة رحمه اللّه جار بالكوفة إذا انصرف من عمله يرفع صوته في منزله منشدًا هذا البيت :

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدَاد ثَغْرِ

فكان يسمع أبو حنيفة إنشاده لهذا البيت في كل ليلة ؟ فاتفق أن أخذ الحرس في ليلة من الليالي هذا الجار وحبسوه ، ففقد الإمام أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، وسأل عنه في الغد ، فأخبروه بحبسه ، فركب إلى أمير الكوفة " عيسى بن موسى "، وطلب منه إطلاق سراح الجار ، فأطلقه في الحال ! ! .

فلما خرج الفتى دعا به الإمام أبو حنيفة ، وقال له سرًّا : فهل أضعناك يا فتى ؟ قال الجار : لا، ولكن أحسنت وتكرّمتَ أحسن اللّه جزاءك ! ! وأنشد :

وما ضرّنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

وفي مجال البذل والعطاء :

– روى الطبراني في الكبير أن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أخذ أربعمائة دينار ، فجعلها في صرّة ، ثم قال لغلامه :

اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ، ثم تشاغل في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ؟ فذهب بها الغلام إليه . . فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذا في بعض حاجتك ، فقال أبو عبيدة : وصل اللّه عمر ورحمه ، ثم قال : تعالى يا جارية : اذهبي بهذه السبعة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان ، وبهذه الخمسة إلى فلان . . حتى أنفدها ؛ ورجع الغلام إلى عمر فأخبره ؛ فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل ، فذهب بها إليه ، فقال الغلام : يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذا في بعض حاجتك ، فقال معاذ : رحم اللّه عمر ووصله . . تعالى يا جارية . . اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، واذهبي إلى بيت

فلان بكذا . . فاطّلعت امرأة معاذ على ما فعل معاذ في إنفاق المال ، وقالت : نحن واللّه مساكين فأعطنا ، فلم يبق في الصرَّة إلا ديناران فرمى بهما إليها ! ! .

ورجع الغلام إلى عمر فأخبره بما رأى ، فسرّ بذلك وقال : " **إنهم إخوة بعضهم من بعض** " .

– وفي عهد عمر رضي اللّه عنه أصاب الناس قحط وشدّة ، وكانت قافلة من الشام مكّونة من ألف جمل ، عليها أصناف الطعام واللباس . . قد حلّت لعثمان رضي اللّه عنه ، فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم تلك القافلة ، فقال لهم : كم تعطوني ربحًا ؟ قالوا : خمسة في المائة ، قال : إني وجدت من يعطيني أكثر . . فقالوا: ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ؟ فقال عثمان : إني وجدت اللّه سبحانه يقول : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللّه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة واللّه يضاعف لمن يشاء واللّه واسع عليم** ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

أشهدكم – يا معشر التجار – أن القافلة وما فيها من بُرّ ودقيق وزيت وسمن وثياب . . قد وهبتُها لفقراء المدينة ، وإنها صدقة على المسلمين ! ! . .

هذا – أيها الإخوة الكرام – غيض من فيض مما ذكره التاريخ في كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم . . وقد تحقق في الرعيل الأول من صحابة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان . . إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين ، وأمنية الفلاسفة منذ القدم ! !

ولكن كيف لا ؟ وهم عاينوا عصر الرسالة النبوية ، فارتشفوا من معينها العذب ، وارتووْا من سلسبيلها الصافي ! ! وكيف لا ؟ وهم قد تذوّقوا حلاوة الأخوّة في اللّه ، وحملوا في نفوسهم أجلى معانيها ! !

وكيف لا ؟ وهم قد جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة لهم ، وتشريعه الخالد منارًا ونبراسًا لجميع نواحي حياتهم ! !

وإليكم – أيها الحفل الكريم – ما قاله الصحابي الجليل في وجوب التأسّي بأفعال الرعيل الأول من صحابة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، يقول رضي اللّه عنه : " من كان متأسّيًا فليتأسّ بأصحاب

رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلّها تكلفًا ، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا ، اختارهم اللّه لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم . . فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ! ! " .

٣ – أما عن مرحلة كراهية الكفر ونبذ أهل الضلال فأقول :

أيها الإخوة المؤمنون: الإيمان باللّه عز وجل حين يترسّخ في النفوس ، ويخالط بشاشته القلوب . . فإنّ صاحبه ينفر من كل كفر ، ويكره كل باطل ، ويبتعد عن كل ضلال . . بل تكون عند المؤمن من الحساسية البالغة ، والشعور العميق ما يستطيع أن يميز به بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر . . في كل فكرة تهبّ ريحها من ديار الغرب ، وفي كل مبدأ يتراءى دخانه من بلاد الشرق ، وإلى هذا أشار النبي صلوات اللّه وسلامه عليه حين قال – كما ثبت في الصحيح – : " **استفت قلبك ولو أفتاك الناس وأفتوك** " .

وللردّة – في هذا العصر – أساليب وأشكال . . فإذا كان المسلم فارغ الإيمان ، خاوي اليقين ، جاهل الشريعة . . فسرعان ما يتأثر بها ، وينجرف في تيارها ، ويعتنق ضلالها . . فيصبح بطرفة عين كافرًا مرتدًا من حيث يعلم أو لا يعلم ، ولو صام وصلّى وزعم أنه مسلم ؛ وإلى هذا ألمح النبي صلى الله عليه وسلم – كما ثبت في الصحيح أيضًا – حين قال " **فسوف تكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل** " .

والردّة ليس معناها – كما يتوهم البعض – أن يترك المسلم دينه الحق ، ويعتنق أي ملّة أخرى كالنصرانية أو اليهودية أو البوذية . . فهذا قلّما يحصل للمسلم . . اللهم إلا إذا كان الجهل يضرب أطنابه في بلد لا يعرف أهله الإسلام إلا بشهادة الميلاد ، ففي هذه الحالة قد يكون للمسلم الذي ينتسب للإسلام ردّة ظاهرة ! !

ولكن للردّة في عصرنا اليوم – كما نوهنا أيها الحفل الكريم – أساليب متنوّعة ، وألوان متباينة . . قد تخفى على المسلم حقائقها فيقع في الردّة مختارًا من حيث لا يعلم وقد يموت وهو على ذلك ، فيخسر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين ! !

لذا رأيت لزامًا عليّ ، وأنا أتكلم في هذه الأمسية عن الكفر وأهله . . أن أميط اللثام عن أشكال للردّة قد تفتن بعض المفتونين بسرابها الخادع الجذاب ، وبشعاراتها المزيفة المضلّلة . . عسى أن يعلم جيل الإسلام اليوم حقيقة هذه الشعارات الكافرة التي تتخذ أسماء ومسميات ظاهرها الرحمة ، وباطنها من قبلها العذاب . . فلا يجد بدًّا سوى أن ينبذها كما تنبذ الزّبالة في صندوق القمامات ، أو يلفظها كما تلفظ النّخامة في بالوعة المجاري ! !

وإليكم – يا شباب الإسلام – أهم مظاهر الردّة [1] في العصر الحديث :

* من مظاهر الارتداد : رفع الشعارات الكافرة التي تصرف وجه الإنسان عن أن يكون اللّه معبوده ومقصوده ، ويدخل في هذا النوع حالات كثيرة :

أ – أن يرفع المسلم **شعار القومية** جاعلًا إياه هدفًا وغاية يدعو له ويعمل من أجله، هذا الشعار رفعه اليهود في بلاد الإسلام إبّان إلغاء الخلافة الإسلامية من أجل ماذا ؟ من أجل أن تتصارع القوميات من تركية وعربية وكردية . . ببعضها ؛ من أجل فصل الإسلام عن الدولة ، وإبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة ؛ من أجل أن يتعصّب القومي لقوميته ، وينبذ أهل دينه وعقيدته ؛ من أجل أن تنقسم دولة الإسلام الكبيرة إلى دويلات صغيرة متفرقة . . ولا شك أن هذه الأهداف لشعار القومية تتنافى مع أبسط مبادئ الإسلام ، ومقتضيات الإيمان .

فكل من ينطوي تحت هذا الشعار يعتبر كافرًا مرتدًا خارجًا عن ملّة الإسلام [2] .

---

[1] اقتبست أكثر بنود هذا البحث من كتابنا " حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية " ص : ٧٦ .
[2] ارجع إلى كتابنا " القومية في ميزان الإسلام " تجد فيه ما يشفي الغليل إن شاء اللّه .

ب – أن يرفع المسلم شعار " الوطنية " جاعلًا إياه هدفًا وغاية يدعو له ويعمل من أجله ، ويجاهد في سبيله ، ولقد عاب اللّه عز وجل على أقوام تعلّقوا بأوطانهم فأنزل في حقهم في سورة النساء ﴿ **ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرًا لهم وأشدّ تثبيتًا** ﴾ [آية : ٦٦] .

فالارتداد منحصر في دائرة العمل من أجل رفع شعار الوطنية ، وتقديس هذا الشعار حتى العبادة دون أن يكون للّه فيه ذكر ، أو للإيمان به غاية .

أما إذا كان العمل في هذا السبيل لأجل اللّه ، وتنفيذ ما أمر ، وكان مما أمر القيام بما فيه مصلحة الوطن الإسلامي ، والحفاظ على أَرض الإسلام ، والدفاع عن العرض ، والشرف ، والنفس ، والمال ، والدين . . فهذا – ولا شك – من العبادة التي تستأهل رضى اللّه عز وجل ، وتدفع إلى الشهادة أو النصر ، وصدق رسول اللّه صلى الله عليه وسلم القائل – فيما رواه أبو داود – : " مَنْ قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتل دون أهله فهو شهيد " .

جـ – أن يرفع المسلم شعار " **الإنسانية** " ، هذا الشعار الذي ترفعه في خفاء "الماسونية العالمية "، ومن ورائها " اليهودية الماكرة " ، فالماسونية هي التي طرحت مبدأ " الدين للّه والوطن للجميع " . وعلى أعقاب طرح هذا المبدأ توصلت إلى أن المسلمين والنصارى والمجوس واليهود . . إخوة في الوطن وفي الإنسانية . . فلا دين يفرقهم ، ولا عقيدة سماوية تحول دون إخائهم . . وبالطبع بعد أن يستهوي هذا الشعار نفوس أقوام لا عقيدة لهم وينضوون تحت لوائه . . تكاشف الماسونية أعضاءها بأنه لولا الأنبياء والرسل المضلّلون لكان الناس أمة واحدة ، لا يفرّقهم دين ولا مذهب ، ولا يضلّهم شيخ ولا قسّيس . . ثم تصارحهم في نهاية الشوط قائلة :

– " إن غايتنا هي إبادة الدين من الوجود " [١] .

---

[١] ليس مقصودهم بإبادة الدين الدين اليهودي ، وإنما المقصود الأديان كلها عدا اليهودية .

- " سوف نتخذ الماسونية غاية من دون اللّه " .

- " يجب خلق جيل جديد لا يستحيي من كشف عورته " .

- " إن النضال ضد الاديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة " . ولقد استطاعت الماسونية الماكرة التى تديرها اليهودية العالمية أن تخدع كثيرًا من عِلْيَة القوم من المسلمين ببريق شعاراتها الزائفة باسم " الحرية ، والإخاء ، والمساواة " حينًا ، وباسم " الوطنية ، والإنسانية ، والقومية . . " أحيانًا . . فوقع كثير ممن يدّعون التنوّر والتقدم في شباك صيدها . . وكانت قد ربَّتهم صغارًا في مدارسها ومعاهدها ، فاستقبلتهم كبارًا في محافلها وأنديتها . . من أجل تنفيذ مخططات اليهودية في العالم الإسلامي ، والوصول إلى أهدافها ! !

د - أن يرفع المسلم شعار " **الاشتراكية** " يدعو له ، ويجاهد في سبيله ، اعتقادًا منه أنه المبدأ الوحيد الذي يرفع كرامة العامل ، والفلاح ، والموظف ، وأصحاب الدخل المحدود . . ويستأصل من المجتمع جذور الثالوث المخيف : الفقر ، والمرض ، والجهل . . دون أن يخطر بباله أن الإسلام جاء بنظام تكافلي اجتماعي عظيم يحقق للفقراء حاجتهم ، وللأفراد كفايتهم ، وللعاجزين كفالتهم ، وللأمة عدالتها . . وشعاره في ذلك : ﴿ **وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** ﴾ ؛ ودون أن يعلم أن التجربة العملية في تطبيق التكافل الاجتماعي قد نجحت نجاحًا باهرًا عبر العصور . . بل كان لها أكبر الأثر في محاربة الإسلام للفقر ، واستئصاله جذور الفاقة والحرمان . . والتاريخ أكبر شاهد على ذلك [1] وعلى العموم أقول - أيها الحفل الكريم - : إن كل شعار يرفعه المسلم لا يرتبط بعقيدة هذا الدين ، ولا يتصل بمبادئ هذا الإسلام ، ولا يبغي المسلم من ورائه رضوان اللّه ولا إعزاز دينه . . فهو شعار الجاهلية . . فالذي يتبنّاه ، ويدعو له ويكافح في سبيله مرتدّ ضالّ خارج عن ملّة الإسلام .

* ومن مظاهر الارتداد : **إعطاء حقّ الحاكمية والتشريع لغير اللّه .**

---

[1] ارجع إلى كتابنا " التكافل الإجتماعي في الإسلام " تجد فيه نظرة الإسلام في معالجة الفقر ، وتحقيق العدالة .

أيها الإخوة المؤمنون : كل من اعتقد أو رضي نفسيًا بحاكميّة غير حاكمية اللّه عز وجل كان مرتدًّا كافرًا لتأكيد النصوص على كفره وارتداده :

قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون** ﴾ .

[آية : ٤٤]

وقال تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ **ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى اللّه ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ .[آية : ٣٦] .

وقال في سورة النساء : ﴿ **فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلّموا تسليمًا** ﴾ .[آية : ٦٥] .

* ومن مظاهر الارتداد : كراهية شيء من أنظمة الإسلام أو تفضيل غيرها عليها . . **كأن يقول قائل : أنا أكره الصيام لأنه مؤخر لاقتصاد الأمة ؛ أو يقول آخر : أن أكره الحجاب لأنه من علامة التخلف للمرأة ؛ أو يقول ثالث : أنا أكره الإسلام لأنه يحرم الربا والاختلاط ، أو يقول رابع : ما يشابه هذه الأقوال . . قال تعالى في سورة محمد : ﴿ والذين كفروا فتعسًا لهم وأضل أعمالهم * ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل اللّه فأحبط أعمالهم ﴾** .[آية : ٩ – ٨] .

* ومن مظاهر الارتداد : **الاستهزاء بشيء من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، أو شعيرة من شعائر الإسلام** . . كالاستهزاء بميراث القرآن لكونه لم يسوِّ بالإرث بين الرجل والمرأة ، أو الاستهزاء بالسنة لكونها حرّمت الذهب على الرجال ، أو الاستهزاء بشعيرة الأذان حين الأذان ، أو الاستهزاء بالمتدينين وأهل اللحى . . قال تعالى في سورة التوبة : ﴿ **يحذر المنافقون أن تُنَزَّلَ عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ، قل استهزؤوا إن اللّه مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل : أباللّه وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين** ﴾ .

[آية : ٦٦ – ٤٤] .

وإلى هذا صوّر لنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مصير من يتكلم الكلمة من سخط اللّه ، قال صلى الله عليه وسلم – فيما رواه البخاري – : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللّه لا يُلقي لها بالًا يهوي بها في جنهم سبعين خريفًا " .

* ومن مظاهر الارتداد : **الإيمان بالقرآن وحده ، وجحود السنة النبوية** ، كما سمعنا عن بعض مسئولين في البلاد العربية ، فإنهم جحدوا السنة النبوية ، ووقفوا منها موقف التكذيب . . وما نراهم إلا امتدادًا لطائفة في الهند تُدعى بالقاديانية . هذه الطائفة ربّاها الإنكليز من أجل هدم الشريعة الإسلامية والتشكيك بنبوة محمدصلى الله عليه وسلم . .

علمًا بأن القرآن الكريم ركّز في كثير من الآيات القرآنية على طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، واعتبرها طاعة للّه ، وأن الذي لا يحتكم إلى النبي صلوات اللّه وسلامه عليه في الأمور كلها يعتبره القرآن غير مؤمن . .

– قال تعالى في سورة النساء : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع اللّه** ﴾ .[آية : ٨٠]

– وقال في سورة النساء أيضًا : ﴿ **فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلّموا تسليمًا** ﴾ .[آية : ٦٥]

إلى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة . .

* ومن مظاهر الارتداد : موالاة الكافرين والمنافقين والملحدين ، وابتغاء العزة عندهم . .

فهذه الموالاة إن كانت عن صدق ومحبة ، وإلقاء إليهم بالمودة . . فإنها تخرج صاحبها من دائرة الإيمان ، وتدخله في بوتقة الكفر والضلال . . وإليكم الأدلة . .

– قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوًا ولعبًا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا اللّه إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

[آية : ٥٧] .

– وقال في المائدة : أيضاً : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ [آية : ٥١] .

– وقال في سورة التوبة : ﴿ **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون** ﴾ ﴿ **. . . ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم الفاسقون** ﴾ .

[آية : ٦٧ ، ٤٨]

– وقال في سورة التوبة أيضاً : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾ .[آية : ٢٣] .

* ومن مظاهر الارتداد : سوء الأدب مع حضرة النبي صلى الله عليه وسلم كالاستهزاء بخصوصية من خصوصياته ، أو الطعن في عرضه ونسائه . .

كأمثال من يغمز الرسول صلى الله عليه وسلم في تعدد زوجاته ، أو يتّهم بعض زوجاته الطاهرات بالزنى والفاحشة ، أو من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم رجل شهواني إلى غير ذلك من سوء الأدب ، ووقاحة القول . . قال تعالى في سورة الحجرات : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ .

فإذا كان رفع الصوت في حضرته صلوات اللّه وسلامه عليه مظنّة ردّة ، وحبوط عمل . . فكيف بما هو أكبر من ذلك ؟ .

* ومن مظاهر الارتداد : **ادّعاء من يّدعي أن للقرآن باطنًا يخالف الظاهر ، وظاهرًا يخالف الباطن** . . وأن هذا الباطني يستغلّ بدعوته الباطنية الضّالة دهماء الناس ، ويّدعي أن اللّه أعطاه من الفتوح والإلهام والمعرفة مالم يعطه أحدًا من البشر ، وأنه الإنسان المعصوم من الخطأ والزلل . . فهذا الادّعاء الباطل تعطيل للشريعة الإسلامية بتعطيل نصوصها ، وهدم لأنظمتها لتأويل نصوصها على خلاف وجهها . .

وإذا استفحل هذا الادّعاء في المسلمين – لا سمح الله – لم يبق للمسلمين أصل للشريعة يرجعون إليه ، ولا قواعد من اللغة العربية يعتمدون عليها . . والقرآن الكريم – كما هو معلوم – نزل بلسان عربي مبين : ﴿ **إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون** ﴾ [يوسف : ٢]

﴿ **وكذلك أنزلناه حكمًا عربيًا** ﴾ [الرعد : ٣٧]

﴿ **وهذا كتاب مُصدّقٌ لسانًا عربيًا** ﴾ [الأحقاف : ١٢]

فكل تفسير لأيّ نصّ من نصوص الشريعة لا يعتمد على أصول التفسير ، ولا يستند على قواعد اللغة العربية ، والبيان العربي ، وشواهد العرب . . فهو تفسير باطل يخرج صاحبه من دائرة الإيمان ، وحقيقة الإسلام . . ولا شك أن أصحاب هذه الدعوات الباطلة هم من فئات الباطنية والزنادقة والملاحدة . . التي ترجع أصول دعواتهم إلى جذور يهودية ، وجدت على مرّ التاريخ من أجل التشكيك بالنبوة والرسالة ، وطمس معالم الإسلام ! ! . .

* ومن مظاهر الارتداد : **وصف الله سبحانه بأوصاف لا تليق به جلّ جلاله .**

– فالذي يقول : " إن الله يحلّ بالأجسام " هو كافر ضالّ .

– أو يقول : " إن لله جسمًا كأجسامنا ، وهيئة كهيئتنا " هو كافر ضالّ .

– أو يقول : " إن الله ثلاثة " هو كافر ضالّ .

– أو يقول : " لو كان الله عادلًا لخلق الناس متساوين " هو كافر ضالّ .

– أو يقول : " إن الله فقير ونحن أغنياء " هو كافر ضالّ .

– أو يقول : " إن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزيئات " هو كافر ضالّ .

إلى غير ذلك من هذه الأقوال التي لا تليق بوصف الربوبية ، ولا تتلاءم مع حقيقة كماله سبحانه ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

فاللّه سبحانه لا يشابهه شيء لا في أقواله ، ولا في أفعاله ، ولا في صفاته . . وهو المنزّه عن الزمان ، والمكان ، والحلولية ، والجسمية . . وهو المتفرّد بالجلال والكمال ، والوحدانية ، والربوبية . . ﴿ **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾[الأنعام : ١٠٣]

- ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[الشورى : ١١]
- ﴿ **لم يلد ولم يولد لم يكن له كفوًا أحد** ﴾[الإخلاص : ٣] .

* ومن مظاهر الارتداد : الإيمان ببعض الإسلام والكفر بالبعض الآخر كأن يقول قائل : أنا أؤمن بالإسلام على أنه دين عبادة وأخلاق ولكن أكفر به على أنه نظام حكم ومنهج حياة . . فهذا التصور عن الإسلام يوقع المرء بالردة ، ويدخله في الكفر لقوله تبارك وتعالى في سورة البقرة : ﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يُردّون إلى أشدّ العذاب** ﴾ .[آية : ٨٥]

إلى غير ذلك من هذه الاعتقادات الباطلة ، والأفكار الضالة . . التي توقع أصحابها في الردّة ، وتخرجهم عن ملّة الإسلام . .

* * *

فعليكم – يا شباب الإسلام – أن تتنبهوا لمؤامرات أعداء الإسلام الذين لا يألون جهدًا في بث المبادئ والأفكار التي توقع من يعتنقها في الكفر الصُّراح ، والردّة الآثمة . . فاحذروا – يا شباب – كل اعتقاد ، وكل قول ، وكل فعل . . يؤدي بكم إلى الزيغ ، ويطيح بأقدامكم في هاوية الضلال . .

كما عليكم – يا شباب – أن تبادروا إلى الأعمال الصالحة وتتمسكوا بعروة الإسلام الوثقى ، وأن ترجعوا إلى أهل العلم الثقات لتستفتوهم عن كل ما يعرض لكم من وساوس وأفكار وعن كل ما يثيره أعداء الإسلام من آراء ترتبط بالعقيدة الإسلامية وتتصل بأصول الإيمان . . مخافة الانزلاق في متاهات الزيغ ، ومهاوي الفتنة . . حتى إذا لقيتم اللّه عز وجل لقيتموه بقلب مؤمن ، ووجه مستبشر ، ونفس مطمئنة راضية ، وإيمان بالحق لا تشوبه شائبة . .

ولابد لي في الحديث عن الردّة والمرتدّين أن أعرج – ولو باختصار – **نحو الإلحاد والملحدين** ليكون الحديث عن الكفر وأهله وافيًا مستكملًا . . وعلى اللّه سبحانه قصد السبيل :

أيها الحفل الكريم : المقصود بالإلحاد التنكر للذات الإلهية وجحود الرسالات والأديان التي جاء بها رسل اللّه صلوات اللّه وسلامه عليهم ، والإلحاد – أيها الإخوة – يندرجٍ في مفهوم الردّة بل هو أكثر شرًّا منها لكون الملحد جاحدًا لدين اللّه ، منكرًا لأركان الإيمان ، وأصول الشرائع . .

والإلحاد اليوم تتبنّاه دول كبرى ، وتفرضه على من تحت سلطانها بقوة الحديد والنار ، وبسلطان القهر والإكراه . . وأصبح لهذه الدول – ويا للأسف – في كل بلد عملاء ، وقيادات منبثّة في العالم هنا وهناك . . تدعو إلى الإلحاد جهارًا نهارًا ، وتتنكر للأديان ، وتتطاول على ذات اللّه جل جلاله بلا حياء ولا خجل ! !

بل نجد هذه الدول الكبرى تركّز في دعوتها الإلحادية على العالم الإسلامي بشكل خاص . . لما يعلم دعاة الإلحاد من ماركسيين ووجوديين وغيرهم ما للإسلام من قوة وانتشار، وحيوية نظم ، واندفاع رجال ، وما يمتاز به من مقومات الحضارة والشمول، ومن مقتضيات التنوّع والتجدد والاستمرار . . وعلى الخصوص الدول الشيوعية ، فإنها تتفنّن في ترويج مبادئها ، وبث إلحادها . . بأمكر الأساليب ، وأخبث الدعايات . .

وإليكم – يا شباب الإسلام – أظهر هذه الأساليب في الهدم والتشكيك والتضليل:

– تارة يلبسون الماركسية والمبادئ الشيوعية ثوب الإسلام ، فمن أقوال داعتهم : إن محمدًا صلى الله عليه وسلم ، أول من دعا إلى المساواة بين الغني والفقير ، وأول من رفع لواء الاشتراكية في المجتمع العربي ، فهو رسول الماركسية ، ونبي الشيوعية . .

– وتارة يقولون : إن الماركسية لا تتنافى مع الإسلام ، ولا تتعارض مع أنظمته ومبادئه . .

– وأخرى يقولون : ما المانع من أن نأخذ المبادئ الشيوعية كنظام اقتصادي ، ونبقى نحن مؤمنين مسلمين ! !

– وأحياناً يقولون : إن الدين شيء والمذاهب الاقتصادية شيء آخر ، فلا يجوز أن نخلط الدين بالسياسة ، وندخل الإسلام بالنظم الاقتصادية ، والنظريات العلمية ! !

– وفي كثير من الأحيان يستغلّون النظريات العلمية لترويج إلحادهم وضلالهم ، كاستغلالهم " نظرية دارون " التي تتحدث عن أصل الحياة ، وتقول بتطور الإنسان من الأدنى إلى الأعلى . .

وكاستغلالهم " **نظرية فرويد** " التي تربط كل شيء وتفسّره بالجنس والشهوة . .

وكاستغلالهم " **التاريخ** " في تفسير الثورات ، وتقدم الشعوب . .

ليصلوا من وراء هذا الاستغلال الأثيم إلى التشكيك بالخالق العظيم ، ومبادئ الإسلام ، وتاريخ المسلمين العريق ! !

– وكثيرًا ما ينتهزون الفرصة المواتية ليكون التحدي صريحًا ، والإلحاد سافرًا ، والمحادّة للّه والرسول وقحة ، كأن يقول قائلهم : " إن اللّه والأديان ، والإقطاع ، والرأسمالية ، والمتخمين . . وكل القيم التي سادت في المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ . . " [1] ، أو يقول : " الدين أفيون الشعب " ، أو يقول : "الأنبياء لصوص كذابون " . . إلى غير ذلك من هذه الأقوال الكافرة الفاجرة الحاقدة على الإسلام والأديان .

فتبين – أيها الحفل الكريم – من هذا التفنن الماكر والأساليب الملتوية :

أن الماركسية القائمة على الإلحاد تعطي لكل حالة لبوسها ، ولكل فئة قناعتها ، ولكل طبقة ما يناسبها من التزوير ، والخداع ، والتضليل . . حتى إذا ولج المخدوع الباب ، ووقع في شبكة الصياد . . زيّن له دعاة الإلحاد الماركسي المذاهب الإلحادية ، والمبادئ الشيوعية بالأسلوب المقنع المناسب ! ! فإذا كانت العقيدة الإسلامية خاوية من نفسه ، والإيمان باللّه ضعيفاً في قلبه، فيمشي هذا المخدوع في طريق الإلحاد خطوة خطوة . . حتى يقع المسكين في مهاوي الضلال ، ويتخبّط في مستنقع الإلحاد . . فعندئذ

---

[1] قال هذا الكلام " إبراهيم خلاص " في مجلة " جيش الشعب " السورية .

يكون عاريًا من كل عقيدة ربانية ومن كل مبدأ أخلاقي . . بل يعلن بكل لؤم وخسّة وصفاقة أنه أصبح لا يؤمن باللّه ، ولا بدين ولا بغيب . . وفي نهاية المطاف يكون من الزمرة التي قال اللّه عنها في سورة محمد – ﴿ **أولئك الذين لعنهم اللّه فأصمّهم وأعمى أبصارهم * ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط اللّه وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم** ﴾ .[آية : ٢٨ : ٢٣]

والإلحاد وإن كان يدخل في مفهوم الردّة إلا أنه – كما ألمحنا – أعظم سوءًا ، وأشد خطرًا على الفرد والمجتمع ، وعلى الأديان والأخلاق . . من أية ردّة أخرى كاعتناق النصرانية أو اليهودية . .

– ذلك لأن الإلحاد يميت في نفس الملحد الشعور بالمسئولية ، ووخز الضمير .

– لأنه يهدم في حسبانه الإيمان بالغيب ، والمثل الأخلاقية الثابتة التي جاءت بها الأديان والشرائع .

– لأنه يدفع الملحد بكليته نحو الإباحية الآثمة ، واللذة الفاجرة . .

– ولأنه يقتل فيه روح التطلع نحو الكمال الإنساني المنشود المتميّز . .

– ولأنه يفقده اعتبار الذاتية ، واستشعار الشخصية . .

– ولأنه يضعف في الأمة الإنتاج الاقتصادي ، والتفوُّق في مجال الحضارة . .

من أجل هذا كله سخر القرآن الكريم من الإلحاد والملحدين ، والمنكرين والدهريين حين قال في سورة الجاثية : ﴿ **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾ .[آية : ٢٤]

ومن أجل هذا أيضاً – أيها الإخوة – كانت عقوبة الملحد أو المرتد حاسمة شديدة لا هوادة فيها ولا رحمة . . أتدرون ما هي ؟ إنها عقوبة الإعدام بالسيف حتى الموت – بعد رفض الاستتابة – لكل من تثبت ردّته ، أو يتبيّن عن طريق البيّنة إلحاده ! !

وذلك لما روى البخاري وأحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من بدّل دينه " أي الإسلام " فاقتلوه " ، ولما روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثّيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة " .

ورب قائل يقول : **لماذا فرض الإسلام على الملحد أو المرتد هذه العقوبة القاسية والمعروف عن الإسلام التسامح** ؟ .

الإجابة على هذا السؤال من وجوه :

الأول : حتى لا تجتذب المغريات المادية ، والمصالح الشخصية والدنيوية بعض ضعاف النفس ، وتحملهم على ترك دينهم أو الإلحاد فيه استجابة لداعي الإغراء ، والمصلحة الذاتية .

الثاني : حتى لا يفكر أي منافق بالدخول في الإسلام ثم الخروج منه تشجيعًا لحركة الإلحاد والردّة ، وزرع البلبلة والفتنة في أنحاء المجتمع الإسلامي .

الثالث : حتى لا تقوى شوكة الكفر والإلحاد في المجتمعات الإسلامية ، فتشكل الخطر الأكبر على عقيدة المسلمين ، فتعمل على حرب الإبادة بالمسلمين متى وجدت الفرصة المواتية كما حدث في العراق من مجازر قام بها الشيوعيون في عهد عبد الكريم قاسم ، وكما يحدث الآن في اليمن الجنوبية ، وفي أفغانستان فإن الشعوب المسلمة تُباد هناك على يد الشيوعيين العملاء ! !

وهذه العقوبة القاسية التي فرضها الإسلام – أيها الحفل الكريم – على الملحد أو المرتد ليست من الحَجْر على الرأي في شيء ، لأن الحرية الدينية تُعْطَى لغير المسلم قبل اعتناقه الإسلام تنفيذاً لقوله تبارك وتعالى في سورة البقرة : ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ** ﴾ [آية : ٢٥٦] .

وعلى مقتضى هذه الآية هو في الخيار : إن شاء أن يدخل في الإسلام أو أن يبقى على دينه . أما بعد أن دخل في الإسلام ، وأصبح عضوًا في المجتمع المسلم فلا يجوز له أن يخرج من الإسلام بحال من الأحوال للأمور التي ذكرناها آنفًا .

وكذلك الذي ولد مسلمًا ، لا يجوز له بعد أن يكبر ، ويبلغ سنّ الرشد أن يترك دينه ، ويعتنق دينًا آخر . . لأن اللّه سبحانه أكرمه بنعمة الهداية الإسلامية وهو مولود صغير ، فكيف يجوز له أن يبدّل نعمة اللّه عليه وهو راشد كبير ؟ وكيف يحق له أن ينحدر من الأعلى إلى الأسفل بعد أن رفعه اللّه في منازل المؤمنين الأبرار ؟ ! !

وإذا شكّل الملحدون أو الباطنيون . . في المجتمع الإسلامي جماعة ، وكوّنوا قيادة وجب على الحاكم المسلم أن يجنّد قوة لقتالهم واستئصالهم حتى يعودوا إلى الدين الحق أو يقتلوا عن آخرهم كما فعل الخليفة العباسي المهدي حين قاتل " المقنّع " الذي ادعى الألوهية في خراسان ، وأسقط عن أتباعه الصلاة والصوم والزكاة . . وأباح لهم النساء والأموال . . فإنَّ المهديّ استأصله وأتباعه وخلّص المجتمع الإسلامي من كفرهم الآثم ، ومبادئهم الهدّامة ! !

وإذا لم يوجد للمسلمين أولو أمر يستأصلون بسلطتهم شأفة الإلحاد الجماعي ، والباطنية المتكتّلة . . وجب عليهم أن ينهضوا بمسؤوليتهم في الإطاحة برؤوس الإلحاد ، وزعماء الباطنية . . وأن يهبّوا – إن استطاعوا – بثورة شاملة تستأصل هؤلاء الملحدين المرتدين على غرار ما يقع اليوم في أفغانستان ، وما يحدث في بعض بلاد الإسلام .

وفي جهادهم المستمر هذا يتطهر المجتمع الإسلامي من بغيهم وفسادهم ، ويتحرر من رجسهم وكفرهم . . وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر اللّه .

* * *

والإيمان باللّه أيها الإخوة الأكارم – حين يترسخ في النفوس ، ويخالط بشاشته القلوب . . فإنه يجعل صاحبه أن يصبر على البلاء ، وأن لا يجزع من إحن الأيام ، ونوازل الليالي ، بل نرى منه من مواقف الصمود والتحدي ما يثير العجب ، وما يذهل الحليم . . بل كلما اشتدت به حادثات المحنة ، وزلزلته قوارع الشدة . ازداد إيمانًا وتثبيتًا ، وصبرًا ويقينًا . . وأعطى المثل الأعلى في التضحية والثبات والفداء . .

وإليكم – يا شباب الإسلام – نماذج رائعة من مواقف الرعيل الأول من صحابة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الصبر على البلاء ، وقوة الثبات والفداء . . عسى أن تنهجوا في الصبر نهجهم ، وتسلكوا في التضحية طريقهم وفي ذلك ذكرى للذاكرين :

– فهذا بلال رضي اللّه عنه المؤمن الصابر لقي في سبيل الدعوة والثبات على الإيمان ألوانًا من العذاب ، وأصنافًا من البلاء ، فكلما اشتدت عليه وطأة الألم ، ونزلت به الإحن السود ، ووضعت على بطنه الحجارة الثقيلة في وهج الظهيرة المحرق ، وتهاوت على ظهره السياط . . ازداد إيمانًا وتثبيتًا ، وهتف من الأعماق متحديًا الكفر وأهله : أحد أحد . .

– **وهذا عمار ، وأمه سمية ، وأبوه ياسر** رضي اللّه عنهم جميعًا : قد تحملوا في سبيل دينهم والثبات على الحق ، مالم يتحمله إنسان ، وما إن علم بنو مخزوم بإسلامهم حتى انقضوا عليهم يذيقونهم أشدّ العذاب ، ليفتنوهم عن دينهم ، ويرجعوهم كفارًا بعد أن هداهم اللّه إلى الإسلام . وفي بطحاء مكة حيث ترسل الشمس شواظًا من لهب قضى آل ياسر أيامًا في عذاب مقيم . . ومرّ عليهم رسول اللّه وهم يعذبون ، وسمع ياسر يئن في قيوده وهو يقول : الدهر هكذا ، فنظر رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه إلى السماء ونادى : " **أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**" .

وسمع آل ياسر النداء ، فهدأت نفوسهم ، وسكنت قلوبهم ، فلما أتاهم أبو جهل لعنه اللّه ، كان استهزاؤهم بالموت وعلوّهم على الحياة أعظم ما رأى الناس ؛ لقد استُشهدت " **سمية " رضي اللّه عنها ، وكانت أول شهيدة في الإسلام ، ثم تبعها بالصبر والشهادة " ياسر** " وكان أول من استُشهد من الرجال ، وبقي " **عمار** " يغالب العذاب ، ويصابر الألم حتى بلغ به الجهد مبلغه . . اللّه أكبر هكذا يجب أن يكون الثبات على الحق ، والصبر على البلاء . . لو لم يكن لآل ياسر إلا هذا الموقف لكفاهم على مدى الدهر فخرًا وشرفًا وخلودًا ! ! . .

– **وهذا مصعب بن عُمَيْر** رضي اللّه عنه الذي نشأ في الترف ، ورُبّي في الرفاهية والنعمة . . اسمعوا إلى قصة إسلامه وثباته على الإيمان كما يرويها ابن سعد في طبقاته : "كان مصعب بن عمير فتى

مكة شبابًا وجمالًا . . وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه مليئة كثيرة المال ، تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأَرَقّه ، وكان أعطر أهل مكة ، يلبس الحضرميّ من النّعال . . ، فكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فدخل عليه وأسلم وصدّق به ، وخرج فكتم إسلامه خوفًا من أمه وقومه ، ولما كشفوا أمره ، أخذوه فحبسوه ، فلم يزل محبوسًا حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا . . " .

يقول " خباب بن الأرتّ " : " هاجرنا مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه اللّه ، فوجب أمرنا على اللّه ، فمنا مَنْ مضى ولم يأكل من أجره شيئًا ، منهم مصعب بن عمير ، قتل يوم أُحُد ، فلم يوجد له شيء يكفّن فيه إلا بُرْدَة " رداء يلبس فوق الثياب " ، قال: فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه ، وإذا وضعناه على رجليه خرج رأسه ، فقال لنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : " اجعلوها مما يلي رأسه ، واجعلوا على رجليه من الإِذْخِر " [1] ولقد وقف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على هذا الفتى وهو مقتول مسجى في بُرْدَة ، فقال له والدموع تزدحم في عينيه : لقد رأيتك بمكة ، وما بها أحد أرقّ حُلّة ، ولا أحسن لُمّةً منك ، ثم أنت شعث الرأس في بردة ؛ وقرأ عليه هذه الآية من سورة الأحزاب : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه ، فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلًا** ﴾ .[آية : ٢٣] .

ولاشك – أيها الحفل الكريم – أن نشوة الثبات على المبدأ ، وظاهرة الابتلاء ، والصبر على المصائب والأحداث ، قد تعلموها من نبيهم وقدوتهم سيد الأبطال ، وشيخ المجاهدين صلوات اللّه وسلامه عليه ، وتعلمون – يا شباب الإسلام – أن المشركين في مكة سلكوا مع النبي صلى الله عليه وسلم مسالك شتى في الأذى ، وأساليب متباينة في الاضطهاد . . ليُثنوه عن دعوته ، ويصدّوه عن أداء رسالته فما استجاب وما خضع :

---

[1] نبات طيبة الرائحة .

– سلكوا معه طريق الإغراء بالمال والزعامة والنساء . . ليصدّوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع . .

– وسلكوا معه طريق الضغط العائلي ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع . .

– وسلكوا معه طريق الاستهزاء والسخرية وإشاعة التهم ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع . .

– وسلكوا معه طريق المقاطعة الاقتصادية الشاملة له ولمن آزره ، ليصدّوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع . .

– وقرروا أخيرًا اغتياله وملاحقته . . ليصدّوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع . .

وهكذا ضرب لهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في الثبات على الحق ، والصبر على البلاء ، والصمود أمام المحنة إلى أن هاجر صلوات اللّه وسلامه عليه ، وأذن اللّه له بالجهاد ، وجاء نصر اللّه والفتح . . ولولا أن يجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه ممن تخرجوا من مدرسة النبوة . . النشوة النفسية في إيمانهم ، والحلاوة القلبية في إسلامهم ، والسرور العظيم في محنتهم ، وقرّة العين المتناهية في صبرهم وابتلائهم . . لما صبروا وصابروا ، ورابطوا وجاهدوا . . ولما احتسبوا ذلك في جنب اللّه . إنه الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، إنه اليقين حين يتغلغل في النفوس والصدور ، وإنه الإسلام حين تعتز به الأفهام والعقول . .

أما بعد أن كتب اللّه على هذه الأمة الجهاد من أجل إعلاء كلمة اللّه . فقد سجل التاريخ بصفحاته الخالدة أخبار جيل كامل في الاندفاع إلى الجهاد ، ونيل الشهادة ، والفوز بالجنة . . بل كانوا يجدون في سبيل ذلك أمنيتهم الغالية ، وفرحهم الأكبر ، وغايتهم العظمى . .

وإليكم – يا شباب الإسلام – بعض الأخبار والنماذج :

أ – قرأ **أبو طلحة الأنصاري في سورة " براءة " حتى بلغ هذه الآية : ﴿ انفروا خفافًا وثقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل اللّه . . ﴾** ، قال أبو طلحة : يأمرنا اللّه أن نخرج خفافًا وثقالًا ،

شبابًا وكهولًا . . ما سمع اللّه عذر أحد ، وقال لبنيه : أي بَنيّ جهّزوني ، جهّزوني ، جهّزوني " يعني للجهاد " ، فقال له بنوه : يرحمك اللّه قد غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع أبي بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ! ! قال : جهّزوني . . فجهزوه بجهاز الحرب ، فغزا في البحر ، فمات في الطريق ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها رضي اللّه عنه .

ب – رُوى أن أبا **خيثمة** رضي اللّه عنه قُتل ابنه في معركة بدر فجاء إلى رسول اللّهصلى الله عليه وسلم يقول : لقد أخطأتني وقعة بدر ، وكنت – واللّه – عليها حريصًا ، حتى ساهمت ابني في الخروج ، فخرج في القرعة سهمه ، فرزق الشهادة وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة ، يسرح في ثمار الجنة وأنهارها يقول : " الحق بنا يا أبتاه تُرافقنا في الجنة فقد وجدتُ ما وعدني ربي حقًّا " ، وقد أصبحتُ يا رسول اللّه مشتاقًا إلى مرافقة خيثمة في الجنة ، وقد كبرتْ سنّي ، ورقّ عظمي ، وأحببتُ لقاء ربي ، فادعُ اللّه يا رسول اللّه أن يرزقني الشهادة ، ومرافقة خيثمة في الجنة ، فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم له ، فقتل في معركة أحد شهيدًا .

ج – وكان **عمرو بن الجموح** أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فلما توجه إلى أُحُد أراد أن يخرج مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم للجهاد ، فقال له بنوه "إن اللّه قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع اللّه عنك الجهاد " ، فأتى عمرو رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول اللّه : إن بنيّ هؤلاء يمنعوني أن أجاهد معك ، فو اللّه إني لأرجو أن أستشهد في سبيل اللّه فأطأ بعرجتي هذه في الجنة ! ! فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد وضع عنك الجهاد ، وقال لبنيه: وما عليكم ألا تَدَعوه لعل اللّه عز وجل أن يرزقه الشهادة، فخرج مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ، فقتل يوم أحد شهيدًا .

د – وقال ن**عيم بن مالك** : يا نبي اللّه لا تحرمنا ، فوالذي نفسي بيده لأدخلنّها ، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم : بِمَ ؟ قال نعيم : بأني أحبّ اللّه ورسوله ، ولا أفرّ يوم الزحف ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : صدقت واستُشهد يومئذ .

هـ – وخرج **سعيد بن المسيّب** إلى الغزو ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، فقيل له : إنك عليل ، فقال رضي اللّه عنه :

استنفر اللّه الخفيف والثقيل ، فإن لم يمكّني الحرب ، كثّرتُ السّواد ، وحفظتُ المتاع ! ! .

و – ولقد رُوِي في بعض الغزوات أن الابن وأباه كانا يتسابقان إلى الجهاد ، فيقرعان بينهما، فتخرج القرعة للابن فيقول الأب : آثرني يا بنيّ ، أنا أبوك ، فيقول الابن : إنها الجنّة يا أبت ولو كان شيء غيرها لآثرتُك واللّه ! ! .

ز – وكان الواحد من هؤلاء الأماجد الأبطال إذا سقط في ميادين الجهاد شهيدًا قال : "وعجلتُ إليك ربي لترضى . . "

– وكان آخر يقول وهو في ساحة المعركة : لئن أنا حييتُ حتى آكل تمر في هذه إنها لحياة طويلة . فكان يرمي ما كان معه من التمر ، ثم يدخل المعركة وهو ينشد :

ركضًا إلى اللّه بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر في اللّه على الجهاد وكل زاد عرضة النّفاد

غير التقى والبر والرشاد

وما يزال يجاهد حتى يخرَّ شهيدًا من أجل إعلاء كلمة اللّه .

– وكان ثالث وهو في النزع الأخير يقول :

" غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه " .

– وكان رابع يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة في ساحة الجهاد والشرف :

" هذا هو يوم الفرح الأكبر " .

– وكان خامس يقول وهو في ساحة الإعدام ، والأعداء محيطون به من كل جانب :

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أي جنبٍ كان في اللّه مصرعي

– وكان سادس يقول وهو يُسْلِمُ روحه إلى بارئها :

" يا سعد الجنّة وربّ النّضر أجد ريحها من وراء أحُد !! "

وهكذا كان سابع ، وكان ثامن ، وكان تاسع . . بل كان عشرات . . بل مئات ، بل آلاف . . يؤثرون حياة الآخرة على الحياة الفانية ، ويتمنون الشهادة ليحظوا بنعيم الجنة في رحاب الخلود . . إن الرجال الذين يكتبون التاريخ بدمائهم ، ويوجهون زمامه بعزماتهم . . هم الذين مدّنوا الأمم ، وكرّموا الإنسان ، وفرضوا المعرفة . . وهم الذين أقاموا في العالمين صرح الأمجاد ، ورسموا في الدنيا معالم المدنية والحضارة . . وهم الذين أوجدوا في الأرض مملكة كبيرة لا تغيب عنها الشمس . . وما ذاك إلا ما استشعروه من نشوة الجهاد ، وحلاوة الاستشهاد . .

وبعد . . فيا شباب الإسلام . .

بالإيمان باللّه الواحد الأحد الفرد الصمد :

– تتحررون من الخوف والجبن والجزع . . وتتحلّون بالصبر والشجاعة والإقدام والفداء . .

– وتتحرّرون كذلك من الشحّ النفسي ، والتقتير المزري ، والحرص الزائد على الدنيا . . وتتحلّون بمعاني الكرم والبذل والإيثار . .

– وتتحرّرون أيضاً من ربقة الهوى ، ونزعات النفس الأمّارة ، وهمزات الشياطين . . وتتحلّون بالمراقبة للّه ، والإخلاص له ، والاستعانة به . . فإذا كان الأمر كذلك فرسّخوا في قلوبكم معاني العقيدة الربانية . . وعمّقوا في نفوسكم أصالة الإيمان باللّه . .

– وعلمتم – يا شباب – أن الإسلام وضع أمامكم المراحل العملية في استشعاركم لذة الإسلام ، وحلاوة الإيمان ولقد رأيتم :

* أن من مراحل هذا الاستشعار : **المحبة الخالصة للّه وللرسول** ؛ وتعني هذه المحبة – يا شباب – أداء حق اللّه سبحانه وحق الرسول صلى الله عليه وسلم في الطاعة والاتباع والولاء . .

* وأن من مراحل هذا الاستشعار : **الأخوّة الصادقة لجماعة المؤمنين ، وتعني هذه الأخوة – يا شباب – أداء حق المسلمين في المحبة والتعاون والتكافل والإيثار . .**

* وأن من مراحل هذا الاستشعار : **كراهية الكفر ونبذ أهل الضلال** ؛ وتعني هذه الكراهية – يا شباب – أداء حق الإسلام في التمسك به ، والعمل بمنهجه ، ونبذ المبادئ التي تخالف شرع اللّه ، وتتعارض مع أحكامه ومبادئه . .

نعم – أيها الإخوة – المؤمن حين يعتقد من قرارة وجدانه أنه يؤدي حق اللّه سبحانه كاملاً في اتباع أمره واجتناب نهيه ، والإخلاص له في الطاعة والعبادة والولاء فإنه – ولا شك يستشعر من أعماقه حلاوة الإيمان ! !

وكذلك المؤمن – يا إخوة الإيمان – حين يعلم أنه يؤدي حقوق إخوانه المؤمنين في السلام ، وفي الزيارة ، وفي تلبية الدعوة ، وفي عيادة المريض ، وفي الاستنصاح ، وفي ردّ اللهفة ، وفي تحقيق التكافل . . فإنه – ولا شك – يستشعر من قرارة وجدانه حلاوة الأخوة في الله ! ! . .

وأيضًا – يا إخوة الإسلام – المؤمن حين يجد في أعماق نفسه أنه يؤدي حق إسلامه العظيم في الاعتزاز به ، والعمل بنظمه وأحكامه ، وكراهية كل ما يخالفه من مبادئ أرضية ، ونظم وضعية . . فإنه – ولا شك – يستشعر من سُويداء قلبه حلاوة الإسلام ! ! . .

اسمعوا – يا شباب – إلى ما أضربه لكم من أمثال واقعية لتعرفوا حقيقة استشعار الحلاوة في أجلى معانيها ، ولتدركوا جيدًا كيف يجد المؤمن حلاوة الإيمان ؟ :

– ولو أن إنسانًا كلف بعمل ما فأحسنه وأتقنه ، ثم رأى الناس ينهجون نهجه ، ويقتفون أثره ، وينتفعون بعمله ، ويثنون على إحسانه وإتقانه . . فإنه – ولا شك – يجد في نفسه نشوة العمل ، وحلاوة الإخلاص . . مهما بلغ من التعب ، وجهد في المشقّة والنَصَب ! ! . .

– ولو أن إنسانًا كلّف من قبل رؤسائه بمسؤوليه عامة ، فقام بتأديتها خير أداء ، وأتقن تنظيمها أحسن إتقان ، وأخلص في النهوض بها أعظم إخلاص . . ثم جاء رؤساؤه يشيدون بعمله ، ويثنون عليه ، ويرفعون من مرتبته ومكانته . . فإنه – ولا شك – يجد في نفسه نشوة القيام بالمسؤولية ، وحلاوة الإخلاص . . مهما بلغ من التعب ، وجهد في المشقة والنَصَب ! ! . .

– ولو أن قائدًا كلف من قبل في قيادته فتح حصن من الحصون ، أو بلد من البلاد . . ، فقام القائد بدوره في تنفيذ خطة أعدّها ، ففتح الله على يده الحصن ، أو البلد . . فإنه – ولا شك – يجد في نفسه نشوة الظفر ، وحلاوة الإخلاص . . مهما بلغ من التعب ، وجهد في المشقة والنَصَب ! ! . .

والأمثال – أيها الإخوة – في هذه المعاني كثيرة أعظم من أن تُحصى ، وأكثر من أن تستقصى . . بل يدركها أي إنسان من نفسه حينما يقوم بأي عمل من الأعمال في حياته اليومية . . حين يحسنه ويتقنه ويصل فيه إلى نتيجة . .

فهذا كله – أيها الإخوة الشباب – مما يشترك فيه الناس جميعًا سواء أكانوا مؤمنين أو عاديين ، وسواء أكانوا مخلصين أو وصوليين ، وسواء أكانوا متجرّدين أو نفعيين . .

فكيف إذا كان عمل الإنسان عملًا يرضي اللّه جل جلاله ؟

وكيف إذا أسلم وجهه لرب العالمين ؟

وكيف إذا أخلص في كل أعماله للّه ؟

وكيف إذا أدّى حقّ اللّه في العبادة والطاعة والولاء ؟

وكيف إذا عمل لمجد للإسلام مؤثّل ، وعزٍّ مشيّد ؟

وكيف إذا انصرف بكليته ليؤدي حقوق الأخوّة الإسلامية ، وحقوق إخوانه المسلمين ؟

وكيف إذا كره الكفر وأنظمته ، ونبذ أهل الزيغ والضلال والإلحاد . .

فلا شك أن استشعاره بحلاوة الإيمان أعظم ، وإحساسه بلذة الإسلام أشدّ ، وتفاعله بنشوة الجهاد أقوى ! ! . .

وأؤكّد لكم يا شباب . .

أن أجدادكم البواسل الأمجاد لم يفتحوا الفتوح ، ولم يحرّروا الممالك ، ولم يقيموا في الأرض سيادة الإسلام . . إلا بعد أن استشعروا في قرارة وجدانهم حلاوة الإيمان . . إلا بعد أن أحسوا في أعماق نفوسهم لذة الإسلام . . إلا بعد أن وجدوا في سويداء قلوبهم نشوة الجهاد من أجل إعلاء كلمة اللّه . .

لذا رأيناهم – يا شباب – بعد أن استشعروا هذا كله خرجوا إلى الدنيا ، وقد واصلوا ليلهم بنهارهم ، وتعبهم براحتهم . . حتى حققوا لهذا الإسلام انتشاره ، ولهذا الدين انتصاره . . فما بين عشيّة وضحاها . . قامت للمسلمين دولة وسلطان ، وتأسست لهم حكومة وقيادة . . وأخضعوا

لحكمهم المملكتين العظيمتين : فارس والروم ، وامتد ظلّهم إلى بلاد السند شرقًا ، وإلى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس شمالًا ؛ ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية إفريقية . . ذلك كله في خمس وثلاثين سنة ؛ وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم ، وامتد سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ؛ ووصلوا إلى حدود الصين شرقًا ، ودخلوا بلاد الأندلس في أوروبة غربًا . .

وقد استطاع أحد الخلفاء – هارون الرشيد أن يصوّر للعالم بسطة الملك الإسلامي ، فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمر به ولا تمطره ، فيقول لها : " **أمطري حيث شئت فإن خراجك سيُحمل إلينا** " .

ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال إذ يقول :

بمعابد الإفرنج كان أذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا

لم تنس إفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف نارا

كنا نقدّم للسيوف صدورنا لم نخش يومًا غاشمًا جبّارا

وكأن ظلّ السيف ظلّ حديقة خضراء تنبت حولها الأزهارا

واليوم يا شباب . .

إذا أنتم استشعرتم في قرارة وجدانكم حلاوة الإيمان . . وإذا ذقتم من أعماق قلوبكم لذة الأُخوّة في الله . . وإذا أحسستم من بؤرة شعوركم بنشوة الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله . . فبفضل الله وتوفيقه تشيدون من المجد ، وتحققون من العز ، وتبنون من معالم الحضارة في العالم ما شاده وما حققه وما بناه الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان . .

هم رجال ، وأنتم يا شباب رجال . . هم أبطال ، فكونوا أبطالًا مثلهم . . هم على مستوى رفيع من الإيمان . . فانهجوا بهذا المستوى نهجهم . . هم ذاقوا حلاوة الأخوّة في الله . . فسيروا على هذا الدرب سيرهم . . هم أعطوا الولاء لله وللرسول وللإسلام ، فأعطوا لله ، وللرسول ، وللإسلام

ولاءكم . . فإذا كنتم على هذا المستوى من الإيمان والأخوة والولاء . . فاعلموا أنكم – بإذن اللّه – من جند اللّه الغالبين ، وسوف تتحطم على أيديكم عروش الطغاة والظالمين ، وسوف تردّون العداة ، والغزاة إلى أوكارهم خزايا نادمين ، فعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

أنتم اليوم – يا شباب – أمل الإسلام المشرق في بناء عزّة الإسلام ، ودولة الإسلام، ووحدة الإسلام . .

وأنتم في هذا العصر رجاء المسلمين البسّام في استرجاع الخلافة الراشدة في الأرض، واستعادة الأمجاد الغابرة في العالمين . .

وأنتم المنظور إليكم في كل مكان على أنكم رجال تحرير ، وجنود فداء ، ودعاة حق ، وشموس هداية . .

فأعطوا – يا شبابا الدعوة – القدوة للناس في كل شيء ، أعطوا القدوة في التزامكم مبادئ الإسلام ، ومناهج الشريعة ، والولاء للّه والرسول . . أعطوا القدوة في تعميقكم روح الأخوة الإسلامية وأدائكم لحقوقها . . أعطوا القدوة في حسن تعاملكم مع الناس ، وكرم أخلاقكم مع العامّة . . أعطوا القدوة في ثباتكم على الحق ، وحركيتكم في مجال الدعوة . . إنه لا تأثير في الأفراد والأمم – يا شباب – أكبر من القدوة ، وأعظم من مكارم الأخلاق ! ! . .

والتاريخ – يا شباب الدعوة – يسطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام **وصل إلى جنوب الهند وسيلان ، وجزر لكديف ومالاديف في المحيط الهندي ، وإلى التيبت، وإلى سواحل الصين ، وإلى الفيلبين ، وجزر أندونسيا ، و وشبه جزيرة الملايو ، ووصل إلى أواسط إفريقية في السنغال ، ونيجيريا ، والصومال ، وتنزانيا ، ومدغشقر ، وزنجبار، وغيرها من البلاد .**

وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم – يا جنود الإسلام – بالقدوة الصالحة : قدوة التجار في تعاملهم ، قدوة الدعاة في حركيتهم وتفاعلهم قدوة المسلمين في صدق إخائهم وكريم أخلاقهم . . ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة . .

فدخل الناس في دين اللّه جماعات وأفواجًا ؛ وآمنوا بالدين الجديد عن إيمان وقناعة ورغبة . .

ولولا أن يتميز هؤلاء التجار بحسن تعاملهم ، وهؤلاء الدعاة بصدق تحركهم ، وهؤلاء المسلمون بكريم مودتهم وإخائهم . .

لما اعتنق هؤلاء الملايين من البشر الإسلام ، ولما دخلوا في عدله ورحمته ! !

وكم يسرّ الدعوة الإسلامية في العصر الحديث أن تجد من جنودها ودعاتها ، وكل من ينتسب إليها شبابًا مؤمنًا متآخيًا داعيًا متماسكًا . . يجسّدون مبادئ الإسلام في سلوكهم ، ويصوغون فكرته في أشخاصهم ، ويترجمون فضائله في حركاتهم وسكناتهم ؟ ! ! .

ولما تقدّم الحركة الإسلامية في العصر الحديث نماذج من الرجال يقتدى بأخلاقهم وفعالهم ، ونوعيّات من الدعاة يتميزون بتآخيهم وتقواهم ، وآلاف من الشباب يتأثر الناس بحالهم قبل أن يتأثروا بقالهم . . عندئذ تحصد الحركة الإسلامية في ميدان الدعوة إلى اللّه الآلاف من الكتل البشرية آمنت باللّه ربًّا ، وبالإسلام دينًا ، وبالقرآن إمامًا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًّا ورسولًا . . بل تقطف الحركة الإسلامية في مجال انتشار الإسلام ، والتمكين للإسلام في أرض أينع الثمرات ، وأطيب الأكل . .

إذا فهمتم – يا شباب – هذه الحقائق عن سرّ الظفر والانتصار والسيادة وعملتم على إحكامها وتعميقها في نفوسكم وسلوككم وحركيّتكم . . فاعلموا أنكم – بإذن اللّه – المنصورون ، وإن جند اللّه لهم الغالبون ، ﴿ **وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ [التوبة : ١٠٥] .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العاليمن .

والسلام عليكم ورحمة اللّه .

تم استنساخ المحاضرة في استنبول ، يوم الخميس في ١ ٦ شوال سنة ١٤٠٢ هـ الموافق ٥ آب سنة ١٩٨٢ م